منها . غير ان احدهم وكان اكرمهم اخلاقاً قال لهم لا تستحلوا الآن دماً حتى ولا دم الطيور لاننا عائدون انقياء انقياء من الاماكن المقدسة » وهكذا بقيت تلك الطيور الجميلة آمنة في مواقعها

ثم ركب اصحابنا البحر من الشاطئ الاسيوي قاصدين الشاطئ الافريقي . الا انهم وجدوا في طريقهم ما لم يكن في الحسبان . فان مجلس الصحة والمحاجر اقام هناك مخافر مخصوصة شديدة المراقبة لمنع فرار الحجاج من الشاطئ الاسيوي الى الشاطئ الافريقي قبل قضائهم مدة الحجر . فامسكهم الجنود بعد ان تهددوهم بالرصاص وارسلوهم الى محاجر الطور

فلما كانوا على الطريق صار صاحبنا تركياً مرة ثانية . فصار يتمتم و يدمدم بكلام يُفهم ولا يُفهم . فما وصل الى المحجر الا وهو تركي صرف فاسكنوه بين حجاج الاتراك و بذلك خلّص نفسه

ولما انقضت مدة الحجر وذهب عناء الانتظار ركب البحر مع باقي الحجاج الى السويس وفيها خلع الزي التركي وعاد مصرياً . وفي السويس ركب السكة الحديدية كراكب من السويس لا كحاج وكان دخوله الى العاصمة يوم دخول المحمل اليها عائداً من الحج

و بذلك استحق قيمة الرهان وقبضها مسروراً بانه فاز على الحكومة وحج من غير ان يدفع رسماً

جبرائيل الدلال الحلبي

نُشرت ترجمة المرحوم جبرائيل الدلال الشاعر الحلبي مقرونة بمقتطفات من شعره فرأينا تلخيص شيء منها هنا اهتماماً برجال الادب في الشرق خصوصاً من كان منهم مجهولاً لا تتعدى شهرته بلده في هذا الزمن

ولد جبرائيل الدلال في سنة ١٨٣٦ في حلب ودرس مدة في مدرسة عين طورا في لبنان ثم عاد الى وطنه واكب على درس اللغة الفرنسوية والطليانية والتركية . « وكان يحفظ ديوان المتنبي واكثر شعر صفي الدين الحلي ومقامات الحريري وكثيراً من مقدمة ابن خلدون والمعلقات السبع والبردة وطائفة من اشعار العرب وقسماً كبيراً من القرآن الكريم » ثم سار الى الاستانة فاقام فيها مدة وامتدح بعض وزرائها و بعد ذلك عاد الى حلب ومنها سافر للسياحة في اوروبا مع قرينته فوصل الى البرتغال وقابل ملكها ومن هناك انحدر الى اسبانيا لزيارة آثار العرب في الاندلس وقد كتب يقول في ذلك « فبتُّ كأني اشاهد من الامراء

والوزراء خيال المعتمد بن عبّاد صاحب قرطبة واشبيلية وابي الحجـاج وبني السراج وبني المظفر ومن العلماء والشعراء ابن خلوف وابن زيدون وابن عبدون وابن خاقان وابرهيم بن سهل . وكنت ارى آثارهم واضحة لا فقط من الاسماء الباقية على كثير من الاماكن والابنية العربية الشائخة بل ايضاً من هيئة الجنس والسحنات الدالة على الاصل العربي واخص ذلك العيون والحواجب »

ولما عاد الى باريز « انتدبه وزير المعارف للتحرير في صحيفة الصدى العربية التي كانت تصدر فيها بامر الحكومة الفرنسوية . لكنه لم يكن يكتب فيها ما يريد بل ما يُراد بايعاز وزارة المعارف الفرنسوية المشار اليها وكان يترجم بين سفراء الحكومات العربية الذين كانوا يقصدون باريز كوزراء مراكش وزنجبار وبين وزراء فرنسا » « ثم قدم باريز خير الدين باشا وزير باي تونس فاتخذه نديماً وجعله امين سره » ولما استدعي خير الدين باشا الى الاستانة ليكون صدراً اعظم فيها ارسل فاستدعى صاحب الترجمة الى عاصمة السلطنة « وانتدبه لانشاء صحيفة (السلام) وكان الصدر ينشر بها آراءه السياسية وافكاره في طرق الاصلاح وعُرفت انها جريدة الصدر وقد ارّخ ظهورها يومئذ المرحوم ابرهيم كرامه وهو ابن الشاعر المشهور بطرس كرامه بهذين البيتين »

نُشرت صحيفتنا (السلام) ونشرها قد طاب يا اهل الوفاء لديكمُ
ان ضاق بالخبر الصحيح مؤرخٌ يتلو حوادثه السلام عليكمُ

و بعد استقالة خير الدين باشا جُعل صاحب الترجمه استاذاً للغة العربية في المدرسة الملكية في فينا ثم قدم الى حلب فاكرمه اهلها المشهورون بحب الادب ولكن حدث بينه وبين بعض خصومه فيها نفور افضى الى هجر وطنه واتخاذه بيروت مقاماً له . ومنها قصد الاستانة وكانت له معرفة بوزير المعارف منيف باشا وكثيرين من الاكابر والوزراء فعينه الصدر كامل باشا امينا لصندوق المعارف في حلب ورئيس المحاسبة في دائرتها واستاذاً اول للغة الفرنسوية في مدرستها الاعدادية . ولكن بعض خصومه فيها اتهموه « بتأليف وطبع قصيدة (قبل ذلك العهد بزمن بعيد) تخالف القوانين العثمانية فالقي في السجن بعد ان عُزل من منصبه وظلّ فيه سنتين » ثم توفي فيه في سنة ١٨٩٢ عن ستة وخمسين عاماً

ومن شعره في رثاء شقيقة له توفيت بازمير

اثرى الحبيبةِ باكرتك غوادي دمعٌ يصعّده زفير فؤادي
يا ليتَ شعري والبلاد بعيدة هل تسمعين شقيقتي فانادي

أغربة الاوطان هل من عودة ترجى فذكرك لم يزل في النادي
حقّ الطبيعة ان اكون مقدّماً فعلامَ قد اخلفتِ في الميعادِ
شطّ المزار واصبح الاخوان بال شهباء ذاك وذا بغرب بلادِ .

وله في الغزل

ومليحة قلبي لديها قد صار اهون ما عليها
قصدت تكمل حسنها لتزيد فتنة مقلتيها
فتمايلت وتضاحكت وغدت تزجّج حاجبيها
انظرتها مرآتها فعكستُ فتنتها اليها

وله في مزين

يا ربَّ حلاقٍ بلوني به اذاقني مرّ العذاب الاليم
شماله كالطور ثقلاً وفي يمينه موسى وخدي الكليم

ولما كان في بيروت بعد هجره وطنه كما تقدم كتب اليه ابن اخته جناب الفاضل قسطاكي افندي الحمصي ناشر الترجمة التي نحن في صددها (من منزل الشاعرة السيدة مريانا مراش) يشوقه فيها الى حلب فاجابه صاحب الترجمة بقصيدة طويلة يفاخره فيها ببيروت ومحاسنها . منها

وذكرتم لنا ضروباً من الحلوى م التي تاكلونها بالمرافع
وبها تصنعون اقراص شيبا نَ ولوزينجا وغير صنائع
ذا طعامٌ ان لذَّ فهو غليظٌ كظَّةٌ للرغيف غصةُ بالع
فانعموا بالتقامه واستلذّوا والعقواعقبهُ رؤوس الاصابع
اين هذا مما هنا يصلح الطا هي طعاماً للهضم يصلحُ نافع
عندنا البحر نجتني افخر الاسماك منه وتاءكلون الضفادع
وجبالٌ نصيد منها صنوف ال طير ما بين ناهض ثم واقع
واذا لم يكن هنا غير ان ال حرَّ فيها يعيش دون منازع
فهو يكفي حظاً لقلبي وان سا لتْ على غربتي غروب المدامع

ثم قال انه لا يشتهي من الشهباء

غير قرب الفريدة اللطف ذات ال صون والحسن والذكا والبدائع
ربةُ الفضل والفضائل مريا نا التي ذكرها يسرُّ المسامع

والتي زانهـا الكمال اذا زا نَ سواها الحلي وسدل البراقع
ان تكن اطعمتكمُ الان تفا حًا شهيًا فخلتموهُ كيـانع
ذاك لا بدعَ انها بنت حوَّا وحديث التوراة في الامر ذائع
اشبهتها والامّ للبنت طبعـاً اقرب الشبه ما لذلك دافع
بيد ان التفاح في البرد لا ينضج والطعم منـهُ بالحمض فاقع
وهو فجٌّ كالخلّ طعماً فانْ ما لتْ الى اكلهِ فمن ذا يراجع
غير مستنكرٍ محبتها الاحماضَ حبُّ النساء للحمض شائع
ما عسى ان يكونَ تفاحكم انَّ م لاثمـارنا تحنُّ الاضالع
ولدينـا النرنجُ اضحى يحاكي أُكَرَ التبرِ فهو اصفر لامع
وكذاك الرمان فالحبُّ كاليا قوت لونًا والقشر ابيض ناصع
يفضلان التفاح لونًا وحجماً وانا تعلمون في ذينِ والع
وبودّي اذيقكمُ ثمر المو ز الشهيّ اللذيذ يُشبع جائع
وكذا التمر وهو كالشهد طعماً طلعه كالنجوم في الافق طالع
وطويل الرماح من قصب السكرِ م مصًّا فمـا رمـاح المعامع
فاذا عدتُ نحوكم جئت منها بالهدايا لكم متى ابت راجع

هذا احسن شعر المرحوم جبرائيل الدلاّل . وله غير شعره عدة مؤلفات منها « رسالة في الهمزة واحكامها ورسالة ثانية في قواعد اللغة العربية تقرّب منالها على الطالبين من الفرنج ورسالة في ملخص التاريخ العام وكلها لم تُطبع عدا روايات كثيرة ترجمها عن الفرنسوية وبعضها مطبوع وهو نادر الوجود » اما قصيدته التي سُجن من أجلها وعنوانها « العرش والهيكل » فهي قصيدة طويلة حذا فيها حذو فولتير في التهكم على الدين والملوك

فنحن نثني على حضرة الكاتب الفاضل جامع هذه الترجمة لانه احيا بها ذكر شرقي فاضل هو اهل لهذا الاكرام . انما كنا نود لو خفف حضرته قليلاً من المبالغة في وصف ممدوحه للمطابقة بين الوصف والموصوف . فان قوله في ممدوحه « فكأنه (يعني المرحوم صاحب الترجمة) اخذ القلم ونفخ فيه من روحه ثم قال باسم ربك تكلم فنطق بما لو كان بلغة الفرنج لقالوا افهذا سحرٌ ام انتم لا تبصرون) لما لا يُقال الاّ للمتنبي او لفيكتور هيكو او جوت او شكسبير او شوقي بعد ٢٠ سنة اذا استمرّ يشتغل ويدرس بجدّ . ونحن نتمنى ان يقلل المشارقة ما امكنهم من هذه المبالغات التي يصفهم الفرنج بها